

سورة الكافرون

قال تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَغْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ
* وَلَا أُنَشِّمُ عَابِدُونَ مَا أَغْبَدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ *
وَلَا أُنَشِّمُ عَابِدُونَ مَا أَغْبَدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } .
[الكافرون: 1 - 6].

هي سورة مكية، آياتها سـ٨، وتعـد سورة التوحيد
والبراءة من الشرك والغواية والضلال؛ فقد طلبت
قريش من الرسول - صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - أـنـ يـعـبـدـ

ألهـم سـنة، وـيـعبدـوا إـلـهـهـ سـنة، فـقـالـ: مـعـاذـ اللـهـ أـنـ
تـشـرـكـ بـالـلـهـ شـيـئـاـ، فـقـالـواـ: فـاـسـتـلـمـ بـعـضـ أـلـهـتـنـاـ تـصـدـقـكـ
وـنـعـبـدـ إـلـهـكـ، فـنـزـلـتـ الشـوـرـةـ، فـعـدـ رـسـوـلـ اللـهـ - صـلـىـ
الـلـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - إـلـىـ الـمـسـجـدـ الـحـرـامـ، وـفـيـهـ الـمـلـاـ منـ
قـرـيـشـ، فـقـامـ عـلـىـ زـوـسـهـمـ، فـقـزـأـهـاـ عـلـيـهـمـ، فـأـيـسـواـ
مـنـهـ، وـآـذـوـهـ، وـآـذـوـهـ، كـمـ يـذـكـرـ الـأـلوـسـيـ فـيـ
"روحـ المـعـانـيـ"، وـالـقـرـطـبـيـ فـيـ "جـامـعـهـ".

قوله: { قـلـ } هو أـسـلـوبـ إـنـشـائـيـ، نـوـغـهـ أـمـزـ، غـرـضـهـ
الـتـصـحـ وـالـتـوـجـيـهـ، وـفـيـهـ كـنـايـةـ عـنـ صـفـةـ هـيـ الـجـرـأـةـ فـيـ
الـحـقـ، وـوـجـوـبـ الـإـعـلـانـ عـنـهـ، وـالـتـصـرـيـحـ بـهـ، كـمـ أـمـ فـيـهـ
كـنـايـةـ عـنـ صـفـةـ هـيـ صـدـقـ الرـسـوـلـ فـيـمـاـ بـلـغـ، وـعـدـمـ
كـيـتـمـانـهـ شـيـئـاـ مـاـ أـمـزـ بـهـ، كـمـ أـمـ فـيـهـ ضـذـغاـ بـالـحـقـ،
وـعـدـمـ جـزـيـهـ مـنـهـ أوـ اـسـتـهـانـهـ بـهـ، وـفـيـهـ كـذـلـكـ تـعـلـيمـ
لـلـصـفـ الـمـؤـمـنـ أـنـ يـقـوـلـ الـحـقـ، لـاـ يـخـشـيـ فـيـ اللـهـ لـوـمـةـ
لـاـثـمـ، وـأـنـ يـجـعـلـهـ دـيـدـنـهـ فـيـ الـحـيـاـةـ، يـتـشـرـهـ وـيـذـوـدـ عـنـهـ،
وـيـمـوـثـ فـيـ سـبـيـلـهـ؛ لـكـونـهـ الـأـحـقـ بـالـحـيـاـةـ وـالـخـكـمـ
وـالـبـقـاءـ.

{ يـاـ أـيـهـاـ الـكـافـرـوـنـ }: هـذـاـ أـسـلـوبـ إـنـشـائـيـ، نـوـغـهـ نـداءـ،
غـرـضـهـ الـبـرـاءـةـ مـنـ الـكـفـرـ وـأـهـلـهـ، وـفـيـهـ كـنـايـةـ عـنـ صـفـةـ
هـيـ أـنـهـ مـحـرـوـشـ بـالـلـهـ، مـخـوـظـ بـعـوـنـهـ، مـشـتـمـلـ عـلـىـ
بـعـاـيـتـهـ، فـيـنـطـقـ بـالـحـقـ، لـاـ يـخـافـ مـنـ الـبـاطـلـ وـأـهـلـهـ،
وـالـوـضـوـحـ سـمـةـ الـدـاعـيـةـ، وـعـنـدـ اـحـبـدـاـمـ الـأـمـرـ لـاـ مـحـلـ
لـلـخـلـطـ وـحـدـيـتـ الـثـفـاقـ، وـإـنـمـاـ لـاـ بـذـ منـ وـجـودـ خـدـودـ
فـاـصـلـةـ، فـمـعـ أـنـهـ سـيـغـضـبـوـنـ مـنـ نـسـبـةـ الـكـفـرـ إـلـيـهـمـ،
لـكـنـهـ ضـذـغـ بـهـ عـلـىـ مـلـاـ مـنـهـمـ، وـفـيـ وـجـودـ الـخـلـقـ فـيـ
الـمـسـجـدـ الـحـرـامـ، وـفـيـهـ دـلـيـلـ عـلـىـ أـنـهـ مـأـمـوـزـ بـذـلـكـ مـنـ
عـنـدـ اللـهـ، كـمـ أـمـ فـيـ هـذـاـ الـنـداءـ كـنـايـةـ عـنـ صـفـةـ هـيـ
عـدـمـ الـخـوـفـ مـنـهـمـ، أـوـ الـمـبـلاـةـ بـهـمـ، وـبـظـواـغـيـتـهـمـ،
وـهـكـذـاـ أـهـلـ الـضـدـ ثـابـتـوـ الـجـنـانـ، مـفـطـمـثـوـ الـقـلـبـ؛

وهكذا أهل الصدق ثابتو الجنان، فطمئنوا القلب؛
بسبب رعاية الرب سبحانه، كما أن الخطاب بهذا
اللداء إنما وزد للتشنيع والثوبيخ على أهل مكة، واسم
الفاعل (الكافرون) يحمل الفعل ومن قام به، وفيه
النीة المبيّنة للفعل، أو أن "أَلْ" موصولة، وهذا يعني
أنهم كفروا، وأخذوا الكفر منهجاً وظريفاً؛ ومن ثم
وجبت البراءة منهم.

{ لا أغبُذ مَا تغبُذون } : (لا) تنفي الحال، فأنا لا أعبد
الهكم في الحال كما تطلبون إلى، فهي كنایة عن صفة
هي التوحيد، والتبرؤ من عبادة الأوثان والأصنام،
وهي إلههم الباطل، واستعمال المضارع المنفي يفيد
كمال البراءة واستمرار الولاء لله، والتخلص من كل
شوائب الشرك، وفيه كنایة عن المسؤولية الفردية،
فالهمزة في (أغبُذ) تبين ضرورة تبرؤ كل إنسان من
عِقائد الوثنية، كما أن استعمال (ما) في المعبد -
وهي الدالة على غير العاقل - ثبِر عدم اعترافه به، أو
إقراره بألوهيتها، فهو في إطار ما لا يعقل، ومن ثم فلا
حق له في الألوهية، كما أن فيها خلُق صفات الإله من
سمع وحش وعقل واثزان، فهو أشباه بجماد غمز عنه
ـ (ما) الموضوعة لغير العاقل.

و { تغبُذون } : تدل على ذيِّمومه عبادتهم له،
 واستمرار دعائهم إليه، مع أنه صنم ووثن، لا يعقل ولا
حيلة له، ولا ينفع نفسه فضلاً عن تقديم أي لون من
اللُّفْع لسواه، وفي الآية كنایة سلب (لا أغبُذ -
تغبُذون)، والضم يُظهر خسنه الضد، نفي وإثبات لمادة
لغوية واحدة (عبد)، وفيها مقارنة بين حياتهم
المتدنية، وعقيدتهم الفاسدة، وحياته السامية،
وعقيدته الصحيحة، وبضدها تتميّز الأشياء، إنها حياة
الظُّهر والغُفاف والثور، وفي مقابل حياة الفسوق

الظهور والغفاف والثور، وفي مقابل حياة الفسق والخنا والظلمات.

(وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَغْبَدُ): تأكيد وترشيح إلى أنّ عقولهم لا تصل إلى العبادة الحقيقية والعقيدة الصحيحة الراسخة؛ فهو يعبد الإله الحقّ، وهو الله رب العالمين، الحقيق بالسجود والأولى بالطاعة، وهم يعبدون أحجاراً وأشجاراً وأوثاناً لا تستحقّ أن تسمى معبوداً، فضلاً عن عبادتها، وشأن ما بين عبادة الرحمن وعباده الأوثان، والجملة الاسمية تفيذ الثبوت والاستمرار، كما أن الفعل المضارع (أغبد) يوجي بسلامة العلاقة، وحسن الاتصال، ودّوام العبادة وصدق الطاعة.